

خطبه الجمعة - الخطبة ٠١٩٢ : خ ١ - عمل اللسان ، خ ٢ - العين .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-١٢-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ،
ولا اعتصامي ، ولا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً
بربوبيته ، وإرغاماً لمن جدد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله
سيد الخلق والبشر ما اتصّلت عين بنظر ، وما سمعت أذن بخبر .
اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن
تبعه إلى يوم الدين .
اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتّباعه ، وأرنا
الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك
في عبادك الصالحين .

العمل الصالح .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[سورة الكهف الآية : ١١٠]

وفي آية أخرى ، يقول تعالى :

﴿ وَكُلِّدْرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٣٢]

مكانتكم عند الله تعالى بحجم عملك الصالح ، إذا أردت اللقيا مع الله تعالى فاعمل عملاً صالحاً ،
في أكثر من مئتي آية في كتاب الله تعالى قرّن الله سبحانه وتعالى الإيمان مع العمل الصالح ،
فالعمل الصالح ركنٌ كبير من أركان الدين .

كيف نعبد الله باللسان !!؟

العلماء قالوا : شطّرُ العمل أقوال ، وشطّره الآخر أفعال واليوم حديثنا عن الأقوال ، يعني عن
اللسان ، وكيف نعبد الله بهذا اللسان ؟

أكثرُ الناس يتكلمون بلا ضوابط ، وبلا علم ، ومن دون معرفة ، ومن دون خوفٍ من الله عز وجل ، يقعون في الغيبة والنميمة ، ويقعون في التفريق بين الناس ، وفي الفحش ، يُسخطون الله عز وجل ، ولا أدلّ عن ذلك من أنّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَتَهْوِي بِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا))

[رواه الترمذي]

كيف نعبُدُ الله عز وجل بهذا اللسان ؟ كيف نتقي الله تعالى بهذا اللسان ؟ كيف ندخل الجنة بهذا اللسان ؟ كيف نتقي النار بهذا اللسان ؟

التقديم والتأخير .

ربّنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن الآيات : ١-٤]

لماذا جاء تعليم القرآن مقدّم على خلق الإنسان ؟
العلماء قالوا : هذا تقديمٌ ربّبيّ ، تقديمٌ أهمّيّة ، أي المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه أخطرُ من وجودك أنت ، بل إنّ وجودك من دون منهج لا معنى له ، بل إنّ وجودك من دون منهج ربّما قادك إلى الهلاك ، لذلك جاء تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان .
فما علاقة الآية الأخرى ؛ علّمه البيان ؟ كيف يتعلّم الإنسان القرآن ؟ وكيف يُعلّم القرآن ؟ وكيف يستمع إليه ؟ وكيف يقرؤه ؟ وكيف يكتبه ؟

هذه هي اللّغة ، أكبرُ نعمةٍ امتنّ الله بها عليك ؛ علّمه البيان ، تستطيع أن تسمع الكلام المنقول لك شفهيّاً ، تستطيع أن تسمع الكلام وأن تفهمه ، وتستطيع أن تقرأ الكلام المكتوب ، وأن تكتبه ، فاللّغة على مستوى السّماع والفهم ، وعلى مستوى الإلقاء ، وعلى مستوى الكتابة ، وعلى مستوى القراءة ؛ هذه النشاطات الأربع وردت في قوله تعالى علّمه البيان قال تعالى :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن الآيات : ١-٤]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ أعلّم الإنسان البيان من أجل سفاسف الأمور؟! من أجل الإيقاع بين الناس ، من أجل أن ينهش من لحم أخيه في السّهرات علّم الإنسان البيان من أجل أن يؤذي عباد الله في القول ، أليس وُرد هذه الآية علّمه البيان مع خلق الإنسان وتعليم القرآن دليلاً على أنّ هذا البيان يجب أن يُستخدم في هدف نبيل ، في مستوى تعليم القرآن ، قال تعالى :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن الآيات : ١-٤]

لذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ﴾

[سورة النساء الآية : ١١٤]

أحاديثهم ؛ في لقاءاتهم ، في نزهااتهم ، في سهراتهم ، في ندواتهم ، في نشاطاتهم ، قال تعالى :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١١٤]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ لا بدّ أن تعرف ما يُقال ، وما لا يُقال ، ما ينبغي أن يُقال ، وما لا ينبغي أن يُقال ، ما كل ما يُعلم يُقال ، ما كل يُقال له رجال ، ولا إذا وُجد الرجال آل الأوان ، وهذا الذي يُقال متى يُقال ؟ فإذا كان الذي يُقال في الوقت المناسب فلِمَنْ يُقال ؟ ما يُقال ؟ ومتى يُقال ، ولِمَنْ يُقال ؟ كل هذا من أجل أن تنجو من عذاب الله تعالى ، ربّ كلمة فرقت بين زوجين ، ربّ كلمة شتت جماعات ، ربّ كلمة فرقت بين شريكين ، ربّ كلمة سببت آلاماً لا تحصى . أيها الإخوة المؤمنون ؛ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيءٌ أحوجُ إلى طول سجنٍ من لسان))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

وورد بالأثر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خمسٌ لهم أحسن من الدُّهْم الموقفة ؛ يعني الخيل الأصيلة ، لا تتكلم في ما لا يعينك ، فإنه فضلٌ ولا آمنٌ عليك الوزر ، ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، ربّما تقع في الغيبة ، وفي البهتان ، ولا تتكلم فيما يعينك حتى تدّ له موضعاً فرُبّ متكلمٍ في أمرٍ يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعيبَ عليه ، وأما الثالثة ولا تماري حليماً ، ولا سفيهاً ، فإنّ الحليم يقلبك ، والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا تغيبَ عنك ، وما تحبّ أن يذكرك إذا غبتَ عنه ، أي عامل الناس كما تحبّ أن يُعاملوك ، واعفُ ممّا تحبّ أن يعفوك منه ، واعمل عملَ رجلٍ يرى أنّه مجزى بالإحسان مأخوذاً بالإجرام ، خمسة أشياء ينصحنا بها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ؛ لا تتكلم في ما لا يعينك ، فإنه فضلٌ ولا آمنٌ عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعينك حتى تدّله موضعاً فرُبّ متكلمٍ في أمرٍ يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعيبَ عليه ، ولا تماري حليماً ، ولا سفيهاً ، فإنّ الحليم يقلبك ، والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا تغيبَ عنك ، وما تحبّ أن يذكرك إذا غبتَ عنه ، واعفُ ممّا تحبّ أن يعفوك منه ، واعمل عملَ رجلٍ يرى أنّه مجزى بالإحسان مأخوذاً بالإجرام .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حكمة لطيفة ؛ إذا لم يكن لديك ما تقول فلا غناء في القول ، لا تقل بلا هدف ، لا تقل قولاً من غير هدف ، من غير أمرٍ إلهي من غير نهي إلهي ، لا تلقي الكلام على عواهنه ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٣٦]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد في مسنده :

((عليك بطول الصمت ، فإنه مطردة للشيطان ، وعون لك على أمر دينك))

[رواه أحمد]

يا فلان خصلتان يحبهما الله ورسوله الصمت وحسن الخلق ، اسمع أكثر مما تقول . قال بعضهم : اللسان حبل سائب بيد الشيطان يصرف صاحبه كيف يشاء ، فإذا لم يملك الإنسان أمره كان فمه مدخلاً للنفايات التي تلوث قلبه ، وتضاعف حجب الغفلة بينه وبين الله تعالى ، لا تجعل لسانك حبلًا سائبًا بيد الشيطان .

يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد في مسنده :

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

[رواه أحمد]

الإيمان والعمل الصالح .

عَوْدٌ على بدء ، الأعمال التي ذُكرت في مئات الآيات ، قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢٥]

وقال تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾

[سورة الكهف الآية : ١١٠]

وقال تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٣٣]

قال تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجر الآيات : ٩٢-٩٣]

الأعمال الصالحة التي هي أحد أركان الدين شطران ؛ أقوال وأفعال ، فالأقوال باب كبير من الأعمال ، كيف نعبد الله بهذا اللسان ؟ هذه الآيات وتلك الأحاديث توجّهنا إلى كيفية عبادة الله عن طريق اللسان .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ روى الترمذي في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
((من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

[رواه الترمذي]

شيء مهم جدًا ، وهو أن اللغو كما فسره العلماء ، بل معظم العلماء : اللغو كل ما سوى الله تعالى ، قال :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *
 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾

[سورة المؤمنون الآيات : ١-٤]

أركان الفلاح ثلاثة :

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
 فَاعِلُونَ ﴾

جاء الإعراض عن اللغو بين فريضتين ، ما حكمة ذلك ؟ ما حكمة أن يأتي الإعراض عن اللغو بين فريضتين كبيرتين ، وعبادتين كبيرتين ، ألا وهما الصلاة والزكاة ، بينهما جاء الإعراض عن اللغو ، فكان الله عز وجل رفع من شأن هذه الفضيلة ، فضيلة الإعراض عن اللغو ، وجعلها في مستوى أداء الصلاة وإيتاء الزكاة قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *
 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾

[سورة المؤمنون الآيات : ١-٤]

واللغو كل ما سوى الله تعالى .

شيء آخر ، ومن اللغو الحديث في سفساف الأمور ، في الأشياء التافهة وفي الجزئيات ، وفي الأمور التي لا طائل منها ، والتي لا يُجدي البحث فيها ، والتي لا تقدّم ولا تؤخّر ، إنّ الخوض في هذه الأحاديث ليس من صفات المؤمن ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفافها ودنيها))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

اشغل قلبك بمعالي الأمور ، ودع عنك الترهات والأباطيل ، والسفاسف فإنها لا تجدي .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ بعض العلماء يقول : إنَّ درجة المؤمن تزداد عند الله تعالى بحسب تنزّهه عن اللغو ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه توفّي رجل في عهد رسول الله ، فقال رجل آخر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم يسمع ، أبشّر بالجنة ! فقال عليه الصلاة والسلام :
((لا تدري فلعله تكلم في ما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه))

[رواه الترمذي]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً إلا ليضحك بها القوم ، وإنه ليقع منها أبعد من

((السماء))

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

وإن المرء ليزلّ عن لسانه أشدّ ما يزلّ على قدميه .
يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذه الخطبة عن آفات اللسان ، ينبغي أن تكون حقائقها في أذهانكم ، وينبغي أن تعزمون عزيمة صادقة على تطبيق ما جاء فيها ؛ لأنّ ما جاء فيها هو كلام الله ، وكلام رسول الله عليه أتمّ الصلاة والسلام .

شيء آخر ، يقول الله تعالى :

**﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾**

[سورة البقرة الآية : ٨٣]

من الميثاق الغليظ ، من أشدّ أنواع الموثيق ، يقول للناس حسناً ، قال تعالى :

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا ﴾

﴿ مَبِينًا ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٥٣]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ للموضوع بقیة ، وسوف أتحدّث إن شاء الله تعالى في الأسبوع ما بعد القادم عن تيمّة هذا الموضوع ، وكيف أنّك تستطيع أن تعبد الله من خلال هذا اللسان ، وإنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم ، وأنّ الكلمة الواحدة قد يهوي بها الإنسان في جهنم سبعين خريفاً .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا فلننّخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .
من لوازم هذا الموضوع كما قلت قبل قليل أنّ على المؤمن أن يكون أشدّ استماعاً ممّا هو راغب في القول فيه ، لذلك تروى كتب السيرة أنّ سيّدنا عمر رضي الله عنه كان يمشي في أسواق المدينة راكباً دابّته ، فلقيته السيّدّة الجلييلة خولة بن مالك ، فلمّا رآها نزل عن دابّته ، ووقف يستمع إليها ، قالت أتق الله يا عمر ، لقد كنت في الجاهليّة عميراً ، وصرت بعد الإسلام عمراً ،

وأنت اليوم أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر ، واعلم يا عمر ، أن من خاف الحساب أمن من العذاب ، ومن خاف الموت خشى من النار ، قال له أحد الواقفين : أتستمع إلى كلام امرأة يا أمير المؤمنين ؟ فقال سيدنا عمر : والله لو ظلت طوال اليوم تكلمني ما فارقتها ، إلا لأؤدي الصلاة وأعود إليها ، أتدري من هي ؟ إنها المرأة التي سمع الله قولها من فوق السبع الطباق ، أفلا يستمع عمر إليها ؟ هذه المرأة التي قال الله في حقها :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

[سورة المجادلة الآية : ١]

أدب الاستماع فضيلة كبيرة من الفضائل ، وقل من ينتبه إليها ، وقل من يحسنها ، وتراه يصغي للحديث بسمعه وبقلبه ، ولعله أدرى به .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

العين :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة النحل الآية : ٧٨]

قال تعالى :

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة السجدة الآية : ٩]

قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

[سورة الملك الآية : ٢٣]

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

[سورة البلد الآية : ٨]

كان الله سبحانه وتعالى يلفت نظرنا إلى هاتين العينين في آيات أخرى يقول الله عز وجل :

﴿ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

[سورة فصلت الآية : ٥٣]

ونفسُ الإنسان أقربُ إليه من الأفلاك ، والأجرام السماوية .
أيها الإخوة المؤمنون ؛ هل فكّرتم كيف ترون بهذه العين الصغيرة الأشياء بحجمها الحقيقي ؟
أعظم آلة للتصوير تعطيك صورة لا تزيد عن مساحو الكف ! كيف ترى الجبل جبلاً ، والبحر
بحراً ، والشمس شمساً ؟ كيف ترى الأشياء بحجمها الحقيقي ؟ هذا السؤال لا يستطيع أيّ عالم أن
يُجيبُ عنه حتى الآن ، كيف ترى الجبل بحجمه الحقيقي ؟ بينما أعظم آلة للتصوير تعطيك الجبل
بحجم لا يزيد عن الكف .

شيء آخر ، كيف تستطيع العين ؛ لو أننا درّجنا اللون الأخضر مثلاً إلى ثماني مئة ألف درجة ،
لو درّجنا اللون الأخضر ، أو أيّ لون آخر ، إلى ثمان مئة ألف درجة ، قريب من المليون درجة
فإنّ العين السليمة تستطيع أن تفرّق بين درجتين ، بين لونين من هذه الدرجات التي تزيد عن
ثماني مئة ألف ، للون الواحد ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

[سورة البلد الآية : ٨]

شيء آخر ، كيف أنّ هذه العين تستطيع أن ترى البعد الثالث ؟ ترى الطول والعرض والعمق ،
لو جعل الله لنا عيناً واحدة لرأى بها الأشياء مسطحة لا بحجمها الحقيقي ، البعد الثالث وهو
العمق لا يستطيع أن تراه بعين واحدة ، طبق ذلك إذا شئت ، لا يستطيع أن ترى البعد الثالث إلا
بالعينين معاً .

شيء رابع ، كيف أنّ هذه الصورة إذا وقعت على الشبكية تتطبّع عليها وتنتقل إلى الدماغ في
أقلّ من جزء من خمسين جزءاً من الثانية ، يعني في كل ثانية واحدة تستطيع العين نقل خمسين
صورة إلى الدماغ ، متى التحميص ؟ ومتى إظهار الصورة ؟ في كل ثانية خمسون صورة ،
تنتقل إلى الدماغ ، والدماغ يُدرك المراد منها .

شيء آخر ، وهي أنّ العين السليمة تستطيع أن ترى خطين بينهما واحد على عشرين من ميلي
متر ، العين السليمة ترى خطين بينهما ، واحد على عشرين من ميلي متر ، وفي العين أشياء
وأشياء لا يحتملُ هذا المنبر الحديث عنها ، مثلاً في الشبكية التي لا تزيد مساحتها عن ميلي
مترات فيها مئة وثلاثون مليون عصية ، وسبعة ملايين مخروط ، المئة وثلاثون مليون عصية
من أجل الأبيض والأسود ، وسبعة ملايين مخروط من أجل الألوان والتفاصيل ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾

[سورة البلد الآيات : ٨ - ٩]

في العين قرنيّة شفافة ، شفافية تامّة ، وهذه الشفافية لو تعلمون كيف كانت شفافة ، لو أنّ هذه
القرنيّة الشفافة غُدّيت عن طريق الشرايين والأوردة كما هي الحال في أيّ نسيج آخر في الجسم

لكانت الرؤية مُشوّشة ، ولرأينا شبكةً فوق العين ، ولكنّ القرنيّة وحدها تتغذّى عن طريق الحلول ، أي الخلية الخارجيّة تأخذ غذاءها وغذاء جارتها من أجل أن تبقى الرؤية سليمة وشفافة ، وواضحة ، والقزحيّة ، هذه الحدقة الملوّنة التي تتّسع وتنقبض تتّسع إذا قلّ النور ، وتنقبض إذا اشتدّ النور بشكل آلي ، لا علاقة لك به إنّها تتّسع وتنقبض من دون أن تعلم ، ولا أدلّ على ذلك أنّك إذا دخلت فجأةً من مكانٍ مضيءٍ إلى مكانٍ أقلّ إضاءةً لا ترى شيئاً إلى أن تتّسع هذه القزحيّة بشكلٍ لا إرادي ، جسمٌ بلّوري يقوم بعملٍ لا يستطيع أن يقوم به أكبر العلماء ، أنّه ينضغط ، ويتقلّص ويتمدّد ، بحيث يعلو .

الخط الزجاجي ، والسائل الزجاجي له ضغوط معيّنة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذه المعلومات هي معلوماتٌ سطحيةٌ جدّاً ، معلومات أوليّة يقرؤها الطلاب في التعليم الثانوي ، فكيف إذا خضنا في معلوماتٍ يقرؤها الطلاب في الجامعة ؟ قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد الآيات : ٨ - ١٠]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴾

[سورة عبس الآية : ١٧]

يعني ما الذي جعله يكفر ؟ قال تعالى :

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾

[سورة عبس الآيات : ١٨ - ١٩]

سألت في الأسبوع الماضي طبيباً ، متى ينبض القلب في الجنين ؟ فقال في الأسبوع السادس ، قبل سنّة أسابيع كانت نطفة ، وبعد سنّة أسابيع صار قلباً ينبض ، قال تعالى :

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كُلًّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾

[سورة عبس الآيات : ١٧ - ٢٣]

ماذا ينتظر ؟ لم يستقم بعد ، ولم يتب ، ماذا الذي ينتظره ؟ قال عليه الصلاة والسلام :

((بادروا بالأعمال الصالحة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا ، هل تنتظرون إلا غنى مطغياً ، أو فقراً منسياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مفندًا ، أو موتًا مجهزًا ، أو الدجال فشرّ غائبٍ ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمرّ))

[رواه الترمذي]

من دون أن تعرف الله عز وجل ، وأن تسعى للتقرّب منه ، فجهدٌ ضائع وخسارة كبيرة ، والموت يأتي فجأةً ، والقبر صندوق العمل ، قال :

وكلّ ابن أنثى وإن طالّت سلامت ه يوماً على آلة حدباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازةً فاعلم بأنك بعدها محمول

والليل مهما طال فلا بدّ من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بدّ من نزول القبر

الدعاء :

اللهمّ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولّنا فيمن تولّيت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذلّ من واليت ، ولا يعزّ من عاديت ، تباركت ربّنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت نستغفرك اللهمّ ونتوب إليك ، اللهمّ هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهمّ أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردّنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كلّ خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كلّ شرّ ، مولانا ربّ العالمين ، اللهمّ اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمّن سواك ، اللهمّ لا تؤمنا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك ، يا رب العالمين ، اللهمّ إنّنا نعوذ بك من عُصال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السلب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذلّ إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، اللهمّ بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحقّ والدين وانصر الإسلام وأعزّ المسلمين ، وخذ بيد وولاتهم إلى ما تحبّ وترضى إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين